كيف تطورت لغة الصين الجديدة ؟

بقلم : ليوشو سيانغ
أستاذ بجامعة بيكن

تفضل ليوشوسيانغ الاستاذ فى جامعة بيكين ، فكتب لنا هذا البحث القيم حول الاطوار التى مرت بها اللغة الصينية المعقدة لتتخذ شكلها الحالى المبسط وهذا مثال حى للانتفاضة التى يمكن أن تحققها لغة من اللغات اذا اشرأبت همة اهلها لذلك وواكبت عملهم انعام فى حقل الكشوف هذه البادرة اللغوية الفياضة .

حققت الصين الجديدة نجاحا باهرا فى تطوير اللغة والكتابة على نسق تلك الانتفاضة العامة التى وسمت مختلف مجالى نشاطها فتعميم اللغة الصينية يتم الآن على بساطين : وذلك أولا فى خصوص لغة الكلام بوضع قاعدة للغة المشتركة وبالسعى العارم لنشرها أما فيما يتعلق باللغة المكتوبة فان البحث ينصرف لاقرار منهج للمصطلحات والنحو مع اذاعة وترويج المعارف المبسطة فى شأنها من أجل رفع مستوى التعبير المسجل عن بوادر الفكر بن الجمهور .

واذا قلنا اللغة المشتركة فالمقصود معارضتها باللهجات المختلفة فاللغة الصينيه تحتوى على عدد كبير من اللهجات فأغلبية الثلثين من سكان الصين تقريبا يتكلمون لهجة الشمال بالمعنى الواسع للكلمة التى تختلف تبعا للاقاليم وان كثرة اللهجات وتعقدها لمما يعوق بناء صرح البلاد . وقد تقرر فى المؤتمر الوطنى الذى انعقد للعمل على اصلاح الكتابة والدعوة الهادفة الى تعميم وتبسيط اللغة الصينية وذلك فى بيكين بالتتابع خلال شهر اكتوبر 1955 نشر اللغة المشتركة على نطاق واسع نشيط محددة فى مفردات واضحة دقيقة كلغة ترتكز فى خصوص النطق الشامل على صيغ عاصمة بيكين وفى خصوص اللهجة الاساسية على لغة الشمال وفى خصوص القاعدة النحوية على الكتب النموذجية المحررة بأسلوب لغة الكلام العصرية .

ونظرا لكون اختلاف اللهجات كامنا خاصة فى النطق ، فان نشر اللغة المشتركة يهتم ايضا بصيغة النطق بالكلمات المستعملة وقد قامت لجنة الدراسات الصوتية فى اللغة المشتركة المشكلة فى دائرة اكاديمية العلوم بالصين بتعريف النطق المعمم لازيد من الفي كلمة ، كان ينطق بها بصيغ مختلفة واصبحت تزاول الآن على سبيل التجربة فى التعليم والاذاعة .

وخلال السنوات العشر الاخيرة كان لتلقين اللغة المشتركة فى المدارس ، واقبال المجتمع عليها واستعمالها فى الاذاعة والسينما اثر فى مساعدة عدد متزايد من الناس على تفهم هذه اللغة والنطق بها .

فقد تلقى اكثر من مليونين من المعلمين واساتذة التعليم الثانوى طوال السنين الاخيرة تكوينا خاصا فى الموضوع ، وكذلك عملية القطارات والبواخر ، والطيران المدنى والمخازن التجارية الذين أصبح معظمهم يستعمل اللغة المشتركة .

وضمانا لنشر معطيات اللغة الجديدة على أكمل وجه ، قامت الحكومة بتحقيق عام حول اللهجات ، وقد بوشرت هذه التحقيقات فى أكثر من الف وثمانمائة

مكان ووزع أكثر من خمسين نوعا من مذكرات اللغة المشتركة لفائدة مختلف الاشخاص الذين يتكلمون اللهجات المتباينة ، كما قام الاخصائيون بعدد من الدراسات التمهيدية حول اللهجات الاقليمية .

والى جانب هذا العمل قام رجال اللغة في الصين بمجهود واسع من أجل وضع قاعدة أساسية للغة المكتوبة .

اصلاح الكتابة الصينية

ان الكتابة الصينية التي يرجع تاريخها الى اكثر من 3000 سنة قد قامت بدور هام في تاريخ الثقافة بالبلاد ، فالحروف الصينية التي توجد بكثرة والتي تتميز بسمات مختلفة يصعب استذكارها ، ويثير استعمالها كثيرا من المساوئ .

وقد أعد البحاثون الصينيون قبل التحرير عدة مشاريع اصلاحية للكتابة الصينية ظلت حبرا على ورق وقد تحقق عمل هام اثر التحرير في هذا المجال وخاصة بعد ما تكونت اللجنة الوطنية لاصلاح الكتابة .

1 ـ نشر مشروع الحروف المبسطة :

ففي يناير 1956 نشر مجلس شؤون الدولة مشروع الحروف المبسطة الذي يحتوي على ازيد من 500 حرف ، واكثر من خمسين جزء كلمة ، وكانت الحروف المبسطة تستعمل دائما لحد الآن في الكتابة العادية ، الا انه لم يكن معترفا بها رسميا ، ولذلك لم تظهر في النشرات المطبوعة .

ولهذا أضفى عليها المشروع الجديد طابعا قانونيا كما ركز استعمالها في المطابع باستثناء بعض النشرات الخاصة .

وتتسم الحروف الصينية ببعض الخواص المشتركة اذ أن تبسيط احدها يؤدي الى تبسيط عدد كبير من الحروف الباقية وقد نشرت اللجنة الوطنية لاصلاح الكتابة قائمة عامة للحروف واجزاء الكلمات المبسطة تهم نحوا من الفين من الحروف .

2 ـ اعداد مشروع كتابة صوتية للغة الصينية ، فقد صادق المجلس الشعبي الوطني على مشروع كتابة صوتية اعد عام 1958 وهو يشتمل على 26 حرفا من الالفبائية اللاتينية مع حرفين ساكنين ، واربع علامات صوتية .

وقد استعملت الكتابة الصوتية خاصة لتسجيل الاصوات في دراسة الحروف الصينية ، بحيث يبتدىء تلامذة المدرسة الابتدائية بالتعرف على الاملاء الصوتي ، ويستعملونه بعد ذلك كوسيلة للنطق بالحروف الجديدة استحثاثا للدراسة .

أما الكتابة الصوتية بالالفبائية اللاتينية فانها تظل الآن وسيلة ثانوية للنقل الصوتي ، فهي ليست كتابة النبائية للغة الصينية على أن استعمالها كتجربة يمتد الى مجالات أخرى تعتبر فيها الحروف الصينية غير مناسبة او عسيرة الاستعمال خاصة كتابة العميان ، وأبجدية الصم والبكم عن طريق لمحاته بواسطة الاصابع أو ارسال البرقيات او الاشارات والاتصالات بواسطة المنارات .

تكوين واصلاح الكتابة للاقليات الوطنية

يوجد في الصين الآن أزيد من خمسين أقلية وطنية تمثل مجموعها ثمانية وثلاثين مليون نسمة اى 5،6 في المائة من سكان البلاد ومن بين هاته الاقليات (الهوى) و (المانشو) و (الشيه) الذين يتكلمون اللغة الهانية (هان) Han بينما تتوفر الاقلية الاخرى على لغة خاصة بها .

وقد كان قبل التحرير لعشرة من الجنسيات من بينها المغول ، واهل التبت والكوريون كتابات خاصة بتسم بعضها بالنقص ، وهنالك أزيد من ثلاثين جنسية من بينها (السوانغ) وعدد نسماتها سبعة ملايين وسبع مائة الف نسمة ، ليست لها كتابة البتة .

وهكذا ضمنت الحكومة الشعبية بعد التحرير لكل الاقليات حرية استعمال وتطوير لغاتها ، وكتابتها بل ساعدتها بكل الوسائل على استكمال استعمالها وعلى تطويرها بقدر الامكان .

وقد لجأ المسؤولون لحل مشكلة كتابة الاقليات الوطنية بالصين الى المناهج الستة الآتية :

1 ـ أحدثت كتابة خاصة لكل اقلية يتركز سكانها وتتحد لغاتها وتطالب جماعيا باحداث كتابة .

2 ـ وضعت كتابات عن طريق التوفيق بين مختلف الكتابات ، وذلك للاقليات التي تتشابه لغاتها عمليا .

3 ـ يمكن أحداث كتابة مستقلة او اقتباسها من كتابة أقلية أخرى وذلك بالنسبة لكل أقلية مختلفة اللهجات يتعذر حصولها على كتابتها مشتركة .

4 ـ كل أقلية سبق لهـــا ان استعملت جزئيا او تعرفت الى لغة اقلية أخرى يمكنها اختيار كتابة الاقلية التى تناسبها أكثر .

5 ـ أما الاقلية التى سبق ان استعملت منذ مدة طويلة لغة (الهان) وكتابتها ، او لغة وكتـــابة اقلية أخرى اندمجت فيها لا تكون الحاجة آنـذاك ماسة الى تكوين عنصر جديد .

6 ـ وكل اقلية لهـــا كتابتها الخاصة يكون فـــى وسعها استعمالها على نسقها الحالى او اصلاحها .

وهكذا يمكن احداث كتابة تتلاءم ومطامح وحاجيات كل اقلية تبعا للمناهج المذكورة ، واعتبارا للملابسات الحسية والاختيار الحر والرضا الكامل .

وفى آخر سنة 1959 احدثت كتابات لعشر اقليات بينما عدلت ثلاث أقليات أخرى كتـــابتها على أساس الالف بائيـة القديمة ، بينمـــا صادق (الوغورس) والخزيس منـذ 1964 على مشروع كتـــابة بالالفبـائية اللاتينيـة .

وقد نشرت كمية كبرى مـن كتب التلاوة تتصل بمختلف هذه الكتابات ، كما نشرت بالنسبة لبعضهـا معاجم ومصنفات فى النحو وحتى فى الصحف .

وفى النواحى التى تستعمل هاته الكتابات ينفسح المجال للاستعمال الواسع فى مختلف أوجـــه نشاط الخلايا الشعبية أو الهيئات الثقافية باتصال مع حاجيات البناء الاقتصادى والثقافى والتربوى فى النواحى التى تقطنها الاقليات .